IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة جامعة الكوت للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
عدد خاص لبحوث المؤتمر العلمي الدولي السادس للإبداع والابتكار للمدة من 16 - 17 نيسان 2025

التفسير وعلوم القرآن في مقدمة منة المنان

م. د. زيدون خماس عبدالله هلال [1]

المستخلص

إن فائدة قراءة المقدمة فائدة كبيرة جداً إذ تعد بمنزلة الرأس من الجسد، والأساس من البناء، كما الرأس يضم أعضاء الجسد كلها كذلك المقدمة، فالمقدمة أول ما يقرأها القارئ، لذا حظيت باهتمام بالغ، فهي تبيّن حقيقة موضوع الكتاب، ومنهج المؤلف الذي سلكة في أعداد الكتاب والظروف التي كتب فيها مؤلّفه.

المقدمة في بعض الأحيان تعدّ مفتاح الكتاب، ويتوقف عليها فهم المحتوى، لذا أهتم بها العلماء منذ قديم الزمان، وكان التفسير كغيرة من العلوم لذي تعددت أشكال التأليف فيه، وعند الاطلاع على مقدمة منة المنان وجدت مادة علمية تصلح أن تكون بحثاً علمياً موسعاً نظراً لكثرة ما حوتها من معلومات وآراء قيّمة دفعتني للاهتمام بها، وهذه المعلومات في غالبها من التفسير ومباحث في علوم القرآن واللغة وغيرها، لذا اقتصرت الدراسة على بعض مباحث علوم القرآن والتفسير، أفردتها، لأنها جزء من المنهج الذي سلكه المفسر في تفسيره، ولا غرابة إذا قلت إن هذه المعلومات هي من أدق وأمتع ما كتب في تفسيره.

الكلمات المفتاحية: التفسير، علوم، القرآن، مقدمة، منة المنان

انتساب الباحث
[1] معهد الفنون الجميلة، مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة، وزارة التربية، العراق، بغداد، 10001

[1] zaidoun.hamas@gmail.com

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر: تشرين الاول 2025

Interpretation and Quranic Sciences in the Introduction of Mannat Al-Mannan

Zaidoun Khamas Abdullah Hilal [1]

Abstract

The benefit of reading the introduction is very great, as it is considered the head of the body, and the foundation of the building, as the head includes all the organs of the body, so does the introduction, as the introduction is the first thing the reader reads, so it received great attention, as it shows the truth of the subject of the book, the author's method that he followed in preparing the book and the circumstances in which the author wrote it.

The introduction is sometimes the key to the book and understanding the content depends on it, so scholars have been interested in it since ancient times, and interpretation was like other sciences in which the forms of authorship varied, and when I looked at the introduction of Mannat Al-Mannan, I found scientific material that is suitable to be an extensive scientific research due to the abundance of valuable information and opinions it contained that prompted me to pay attention to it, and this information is mostly from interpretation and discussions in the sciences of the Qur'an and language and others, I devoted it, because it is part of the method that the interpreter followed in his interpretation, it is not surprising if I say that this information is among the most accurate and enjoyable things written in interpretation from scientific investigation

Keywords: interpretation, sciences, the Qur'an, introduction, Mannat al-Mannan

Affiliation of Author
[1] Institute of Fine Arts, Third Rusafa Baghdad Education Directorate, Ministry of Education, Iraq, Baghdad, 10001

[1] zaidoun.hamas@gmail.com

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Oct. 2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا قيّما، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، ولا يميل به عن الجادة قال تعالى: { **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** } (سورة فصلت : الآيات 41-42).

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد المؤيد بالقرآن، وآية باقية على وجه الدهر، ووكل إليه تبيّنه وتفسيره فقال سبحانه: { **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** } (سورة النحل : الآية : 44) . وعلى آله مصابيح الهدى وسفن النجاة وعلى أصحابه المهتدين بهديه.

أما بعد:

قد جرت عادة مصنفي الكتب قديماً وحديثاً أن يقدموا بين يدي محتوى مصنفاتهم مقدمات تكشف عن موضوعات كتبهم، والأسباب الداعية إلى تصنيفها، وبيان طريقتهم في تلك الكتب، ويذكروا أشياء أخرى يحتاجها القارئ قبل أن يلج في قراءة الكتاب.

من خلال مطالعتي مقدمة كتاب منة المنان في الدفاع عن القرآن وجدت أن السيد الشهيد محمد الصدر افتتح تفسيره بمقدمة اودع فيها تنوع الثقافي والفكري، خاصةً في علوم القرآن والتفسير، لتكون مفتاحاً لهذه التفسير، لذا اولى الباحثون من المعاصرين بذكر عناصر التأليف، فذكروا المقدمة وما تحتويها من مادة العلمية، وخلاصة افكارهم وزبدة آرائهم في الكثير من المسائل سواء أكانت في علوم القرآن أو التفسير أو غيرها، كان من الضروري دراسة هذه المقدمات دراسة حقيقية جادة، ومحاولة الغوص في ثناياها، لذا وقفت على لطائف كثيرة وفوائد جمّة في مقدمة منة المنان، وبرّزت فيه ما حوتها تلك المقدمة من آراء قيمة ومسائل مهمة جديرة بالعناية والبحث، وبدورها كوّنت عندي الرغبة قوية في جمعها ثم تبويبها وإخراجها بأسلوب شيق يمتع القارئ . اقتصرت الدراسة على بعض المسائل في علوم القرآن والتفسير، ولم أتطرق إلى كل المسائل خشية الاطالة، لأن المقدمة حوت من العلوم والمعارف أعمق من أن تذكر في هذه الوريقات، ونظراً لمّا تقدم وقع الاختيار أن يكون عنوان البحث " **التفسير وعلوم القرآن في مقدمة منة المنان** "

قد قسمت البحث إلى ثلاث مبحث ولكل مبحث تندرج تحته مجموعة من المطالب : **المبحث الأول: مفهوم المقدمة في اللغة والاصطلاح** . المطلب الأول : تعريف المقدمة في اللغة والاصطلاح . المطلب الثاني : أهمية المقدمة الكتاب ونشأتها . **المبحث الثاني : علوم القرآن مفهومهاً وموضوعاً** . المطلب الأول: منهجه السيد الصدر في عرض القراءات القرآنية . المطلب الثاني: موقف السيد الصدر من أسباب النزول .

المبحث الثالث: تفسير القرآن بالرأي . المطلب الأول : منهجه في التفسير بالرأي **.** المطلب الثاني : علم المُشْكِل .

والخاتمة أوجزتها في مجموعة من النقاط، كانت خلاصة ما استنتجته من البحث.

المبحث الأول: مفهوم المقدمة في اللغة والاصطلاح

أولى العلماء قديماً وحديثاً أهمية بالغة وعناية خاصة بمقدمة كتبهم، انطلاقا من القيمة المحورية للمقدمة، بوصفها الخطاب التأسيسي لأفكار المؤلف ومنهجية ووصايا، وطريقة قراءته المعمقة وفهم الدلالات والتبصر بمراده.

إن فخامة كتاب منة المنان في دفاع عن القرآن مناسبة لفاتحته، إذ كانت مقدمة مهمة اشتهر إيرادها في بعض أوائل كتب التفسير مثل تفسير الطبري، وتفسير التبيان، وتفسير مجمع البيان وأخرون، ألا أن بعض العلماء قد أفاضُ وابدعوا في مقدمات كتبهم مثل تفسير البرهان، وتفسير الصافي، وتفسير نور الأنور ومصباح الأسرار، الذي أبدع فيه المصنف في مقدمته؛ فإنها شاعت لبيان الحاجة وتصوير العلم وبيان الموضوع، والبعض اقتصر على بيان الحاجة أو تلك لما يتوقف عليه علم.

وفي قبال ذلك لم يهتم البعض من العلماء في مقدمات كتبهم، وهو أمر عرفي عند البعض، إذ يأخذ في التأليف إلى الشروع في المقصود، فالكتب المصنفة مبدؤها الخطبة بتمامها والحمد اللفظي لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التبجيل أي التعظيم سواء تعلق بالفضائل وهي النعم القاصرة أم بالفواصل وهي النعم المتعدية فدخل في الثناء الحمد وغيره وخرج باللسان الثناء بغيره كالحمد النفسي وبالجميل الثناء باللسان على غير جميل (الأقناع، 1996، 1 : 7). وقبل الشروع بالبحث لا بد من التعريف بالمقدمة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: تعريف مُقَدّمَة في اللغة والاطلاح

تعريف مُقَدّمَة في اللغة : قيدوم كل شيء مقدمه وصدره، والمقدم: نقيض المؤخر، وقيدوم الجبل: أنف يتقدم منه، يقال: ضرب مقدم وجهه (جوهري، **1987**، 5 : 2008).

وعرّفت ايضاً: ((الْمُقدمَة من كل شَيْء أَوله وَمن الْجَيْش طائف مِنْهُ تسير أَمَامه وَمِنْه يُقَال مُقَدّمَة الْكتاب ومقدمة الْكَلَام وَمَا استقبلك من الْجَبْهَة والجبين)) (المعجم الوسيط،1986، 2 : 720).

أما تعريف مُقَدّمَة في الأصطلاح قَالَ التَّفْتَازَانِيّ : ((ومقدمة الْكتاب لطائفة من كَلَامه قدمت أَمَام الْمَقْصُود؛ لارتباط لَهُ بهَا وانتفاع بهَا فِيهِ سَوَاء توقف عَلَيْهَا أم لَا)) (حاشية ابن عابدين، 1992، 1 : 35).

وعرّفها الجرجاني ايضاً قال : ((تطلق تارة على ما يتوقف عليه الأبحاث الآتية، وتارة تطلق على قضية جعلت جزء القياس، وتارة تطلق على ما يتوقف عليه صحة الدليل)) (الجرجاني، 1983، ص 225) .

وقيل في مُقَدّمَة ايضاً: ((هي في العادة آخر ما يكتب في البحث)) (مقدمات التفاسير، 2020، ص5).

والمُقَدّمَة في الأصل صفة، ثم استعملوها اسماً لكل ما وجد فيه التقديم، كمقدمة الجيش والكتاب، ومقدمة الدليل والقياس وإلى آخرة من المسميات. (شرح الكوكب المنير، 1997، 1 : 32) .

ويتضح مما تقدم: إن الْمُقدمَات هي الْأُمُور الَّتِي جرت عَادَة المفسرين وغيرهم بجعلها مُقَدّمَة من بَيَان مَفْهُوم التفسير واسْمه وموضوعه وغيرها.

ومن هنا تظهر أهمية المقدمة الفكرية المنطقية للمفسر واهتمام القراء والباحثين بها؛ سواء كانت على مستوى الفقرة أو المقال أو الكتاب؛ حيث تعد صياغتها بقوة ووضوح وتسلسل منطقي من أهم عوامل قبول المكتوب والتأثر به.

وهناك عموم وخصوص بين مقدمة العلم ومقدمة الكتاب، قال الجرجاني المقدمة: تطلق تارة على ما يتوقف عليه الأبحاث الفقه، وأصول الفقه، والعقيدة، وغيرها، وتارة تطلق على قضية محددة جعلت جزء القياس، وتارة تطلق على ما يتوقف عليه صحة الدليل، ومقدمة الكتاب: ما يذكر فيه قبل الشروع في المقصود لارتباطها، ومقدمة العلم، ما يتوقف عليه الشروع، فمقدمة الكتاب أعم من مقدمة العلم، بينهما عموم وخصوص مطلق، والفرق بين المقدمة والمبادئ: إن المقدمة أعم من المبادئ، وهو ما يتوقف عليه المسائل بلا واسطة، والمقدمة ما يتوقف عليه المسائل بواسطة أو بلا واسطة . (الجرجاني، 1983، ص 225) .

المطلب الثاني : أهمية المقدمة الكتاب ونشأتها

فقد جرت عادة مصنفي الكتب أن يقدموا بين يدي محتوى مصنفاتهم مقدمات تكشف عن موضوعات كتبهم، والأسباب الداعية إلى تصنيفها، وبيان طريقتهم في تلك الكتب، ويذكروا أشياء أخرى يحتاجها القارئ قبل أن يلج إلى قراءة الكتاب، ومن أغراضهم في ذلك بيان أهمية الكتاب وموضوعه، والترغيب في قراءته، وإعانة القارئ ببعض التنبيهات التي تفتح له مغالق الكتاب، وتعينه على فهمه ومعرفة مراميه. كما أن من أغراض تلك المقدمات الإشارة إلى الجهد الذي بذله الكاتب وإعذاره في بعض الأمور التي سيذكرها ولا يوافقه عليها بعض القراء، فيكون بتنبيهه في مقدمته قد بسط عذره . (مقدمات التفاسير وموضوعاتها، 2020، ص 5).

قال صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: جرت سنّة الكتّاب في جميع الكتب إلى هذه المقدّمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقّه كلّ نوع من أنواع الكلام من المقدّمات التي تشاكلها، ثم قال: والطريق إلى إصابة المرمى في هذه المقدّمات أن تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض، وأن يوضع للأمر الخاصّ مقدّمة خاصّة، وللأمر العامّ مقدّمة عامّة، ولا يطوّل في موضع الاقتصار، ولا يقصّر في موضع الإيجاز، ولا يجعل أغراضها بعيدة المأخذ (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 1995، 6 : 268) .

لقد عني أسلافنا القدماء بمضمون المقدمة، من مثل أحمد بن علي المقريزي الذي أورد حولها في خططه ما يلي قال: اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت على أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح الكتاب هي: الغرض، والعنوان، والمنفعة، والمرتبة، وصحة الكتاب، ومن أي صناعة هو؟ وكم فيه من أجزاء؟ وأي أنحاء التعاليم فيه . (المواعظ والاعتبار، 1998، 1 : 9) .

أما في الدراسات الأكاديمية للمُقدمَات البحوث منهج خاص متعارف عليه لدى أهلها قد يتناول ما سبق ذكره، ويزيد على ذلك ذكر أهداف البحث والصعوبات التي واجهت الباحث، ومنهجية الباحث في بحثه، وخطة البحث وغير ذلك مما تزخر بها مقدمات رسائل وأطاريح الدراسات العليا وأبحاثها.

غير أن هناك مصنفين يضيفون إلى ما تقدم مباحث ومسائل وفوائد في مقدمات كتبهم، يرون حاجة القراء لها، وقد تكون تلك المباحث العلمية تتعلق بالعلم الذي ينتسب إليه الكتاب، أو تتعلق بالكتاب نفسه ومحتواه، أو غير ذلك.

وهذا يشعرنا بأهمية قراءة مقدمات الكتب قبل الشروع في قراءة مادتها، وينبهنا إلى خطأ كبير يقع فيه بعض القراء بسبب الملل، أو العجلة، أو الغفلة أو أسباب أخرى - هذا الخطأ هو تجاوز المقدمة إلى أصل مادة الكتاب، دون المرور بقراءتها . (مقدمات التفاسير وموضوعاتها، 2020 ، ص 6) .

ومن الدواعي التي بينها السيد الصدر في مقدمة حتى لا يقع القارئ في مجموعة من الإشكالات قال: ترد الشبهة لدى القارئ الاعتيادي وهذا القارئ يكون قد فهم السؤال ولم يفهم الجواب، ويكون المؤلّف سبباً لذلك فيتورط في الحرام، ومن هنا زادت الأسئلة المدفونة في النفوس، والشبهات المعقودة في الرؤوس، حتى أصبحت مدخلاً للضلال والدعاة الكفر والإلحاد، لأجل رد الناس عن دينهم وسحب يقينهم. ومن هنا احتاج الأمر إلى قلب قوي والى عقل سوي، من أجل التصدي إلى ذكر كل تلك الأسئلة وعرض كل تلك الشبهات . (منة المنان، 2008، 1 : 33) .

إذ تعد المقدمة الحاضن الفكري والتوجيه المعرفي لدى القارئ وتمنع من أن تضل الأفهام أو سياج تنظيري لتوضيح أفق التلقي ومسارات انطلاق الفكر والنظر في دلالات الكتاب، إذ اهتمت الدراسات الأخيرة بالمقدمات، ويرى البعض أن الوظيفة الأساسية للمقدمة الأصلية هي تأمين القراءة الجيدة للنص . (العتبات النحوية، 2014، ص 6) .

وكأنّ متن الكتاب لا يكتمل إلاّ بهذه المقدمة، أي أنها تحتمل اشتراطاً بأن ما بعدها يتوقف عليها، فهي ليست البداية فحسب، وإنّما شرط من شروط فهم ما بعدها أو التعمق في فهمه أو الترقي

في مساراته، وهو ما دعا بعضهم أن يسميها الميثاق التمهيدي . (الخطاب المقدماتي، 2022، ص 630)

قال النووي : ومن المصنفين من يترك موضع الخطبة بياضاً، فإذا فرغ ذكرها فأشار إلى حاضر لتكون عبارته في الخطبة موافقة لما ذكره . (المجموع شرح المهذب، 1987، 1 : 77) .

يقول الأستاذ عباس أرحيلة: إن الاهتمام بالمقدمات موجود منذ زمن بعيد، وقد خصها العلماء بالشروح في التقديم، وصارت من اهتمامات النقد الحديث . (مقدمة الكتاب في التراث، 2003، ص 8) .

إن منزلة المقدمات من كلام منزلة الرأس من الجسد، والأساس من البناء، وكما أن الرأس يضم أعضاء الجسد ويرأسها، كذلك المقدمة التي يقدمها المنشئ في صدر كلامه تضم ما تتبعه ويقع في ضمنه، وكما أن الباني لابد له من وضع أساس لما يبنيه يعتمد عليه ويستند إليه، كذلك مؤلف الكلام لا يغني عن تقديم مقدمة يتطرق منها إلى ما يروم التأليف فيه؛ لأن كل كلام لا يخلو من فرش يفرش قبله غير داخل في حكم الكلام المنظوم . (مقدمات التفاسير بين الأهمية والتأصيل، 2032، ص 136) .

ذهب المهتمون بعلوم القرآن وأصول التفسير إلى أن أقدم من صدر تفسيره بمقدمة هو شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، ثم تلاه غيره، وهذا القول ربما كان من السمات عند أكثر الباحثين، والصحيح أن هناك من سبق ابن جرير من التوسع والشمولية في المعالجة كعبد عبد الرزاق الصنعاني، ت٢١١هـ، فقد اكتفى المتقدم بتقديم جملة ثم تبعهما آخرون الادلة توسعوا في المواضيع، واتجهوا إلى جمع والآثار وسردها ومناقشتها، كما اهتموا بالتعقيب على اقوال اسلافهم من المفسرين المتقدمين وانتقل هذا الاهتمام بعلم المقدمات إلى أهل المغرب وبلاد الاندلس، فاهتموا بذلك أي اهتمام . (مقدمات التفاسير بين الأهمية والتأصيل، 2032، ص 136) .

ويرى آخرون: إن المقدمة هي ما تبقى من كتابه ولا فائدة منها . (الخطاب المقدماتي، 2022، ص 627) . ويبدأ بقراءة الكتاب من المنتصف متجاهلاً مقدمة الكتاب، ونبذة عن مؤلفة؛ لأنه يرى أنها غير مهمة، فهذا كأنه ولج إلى الكتاب دون استئذان. والحقيقة أن مقدمات الكتب عبارة عن بطاقة تعريفية لما يحتويه الكتاب، فهي مهمة ولها فائدة عظيمة . (مقدمات كتب الفقه، 2019، ص 33) .

وفائدة أخرى لتلك المقدمات التفسيرية: أنها تكشف عن مناهج المفسرين في تفاسيرهم، وتذكر بعض المعلومات المتعلقة بتلك التفاسير؛ فحري بالباحث أو القارئ أن يرجع إلى تلك المقدمات قبل أن يقرأ أو يبحث في تفسير الآيات.

كشف السيد الصدر للقارئ عن منهجه في قراءة هذا كتابه قال: ينبغي الالتفات سلفاً إلى أني لم أكتب هذا الكتاب لكل المستويات ولا يستطيع الفرد المتدني الاستفادة الحقيقية منه، وإنما أخذت بنظر الاعتبار مستوى معيناً من الثقافة والتفكير لدى القارئ، وأهمها أن يكون في الثقافة العامة على مستوى طلاب الكليات ونحوه وأن يكون من الناحية الدينية قد حمل فكرة كافية، وإن كانت مختصرة عن العلوم الدينية المتعارفة، كالفقه والأصول والمنطق وعلم الكلام والنحو والصرف ونحوها، مما يدرس في الحوزة العلمية الدينية عندنا في النجف الأشرف. فإن اتصف الفرد بمثل هذه الثقافة، كان المتوقع منه أن يفهم كتابي هذا، وإلا فمن الصعب له ذلك، ولكن لا ينبغي أن يأنف من عرض ما لا يفهمه من الكتاب على من يستطيع فهمه وإيضاحه، فإن لم يكن على أحد هذين المستويين، فلا يجوز له شرعاً أن يقرأ هذا الكتاب؛ لأنه يوجد احتمال راجح عندئذ أن يفهم السؤال ولا يفهم الجواب فتعلق الشبهة في ذهنه ضد القرآن الكريم .(منة المنان، 2008، 1 : 33-34) .

ويتبين مما سبق: إن مقدمات الكتب لها أهمية كبيرة؛ ففيها إذا أحسن كاتبها ترغيب وتشويق للقراء بقراءة الكتاب، وعدم مغادرتها إلا إليه، فمقدمة الكتاب هي وجهه.

المبحث الثاني : علوم القرآن مفهومهاً وموضوعاً

تعني عبارة علوم القرآن المباحث والدراسات التي كتبت حول القرآن الكريم، وهي تتناول أربعة موضوعات أساسية، الأول: مصدر القرآن أو كيفية إنزاله وتلقي النبي (صلى الله عليه وآله)، والثاني: كتابة القرآن وجمعه ونسخه في المصاحف، والثالث: تلاوة القرآن وقراءاته، والرابع: تفسير القرآن وكيفية فهم آياته. ويتألف كل موضوع من هذه الموضوعات من عدد من المباحث التي يتكون من مجموعها ما يعرف بعلوم القرآن، ويتصل بعلوم القرآن أيضا المباحث المتعلقة بفضائل القرآن، والدراسات التي تبحث في وجوه إعجازه . (محاضرات في علوم القرآن، 2003، ص 7) .

ولذا نرى أن السيد الصدر ذكر عدة من مباحث علوم القرآن في مقدمة تفسيره وجعلها مفاتيح لفهم كتاب الله عزّ وجلّ وقد أكثر العلماء فيه من الموضوعات ما بين مختصر ومبسوط، فالمفسّر صار يحتاج في تفسيره إلى معرفة القراءات الواردة عن المعصوم (عليه السلام) لأن هذه القراءات بمثابة بيان للقرآن، وتفسير له، غير أن تعدد القراءات قد تشكل نقطة قوة في بحثنا هذا؛ من حيث إن جملة منها تستلزم تغير المعنى، الأمر الذي ينتج اختلاف السياق القرآني، أو حل مشكلة فعلية ناتجة عن قراءة أخرى أو عن القراءة المشهورة، وهكذا . (منة المنان، 2008، 1 : 22) .

يمكن أن يفهم من عبارة علوم القرآن معنى واسع هو كل ما يتصل بالقرآن الكريم من دراسات، فيدخل في ذلك علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الرسم العثماني، وعلم إعجاز القرآن، وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن وعلم غريب القرآن، وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك.

وهذه الدراسات المتعددة التي تدور حول القرآن الكريم وتتناوله من مختلف جوانبه قد بدأت في الظهور منذ وقت مبكر من تاريخ الفكر الإسلامي . (في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، 2021، ص 7) .

يرى كثير من الباحثين أن علوم القرآن لم تترعرع وتشب عن الطوق إلا على يد بدر الدين الزركشي في نهاية القرن الثامن الهجري .(مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، 2018، ص 57) .

وإذا رجعنا إلى كتاب الفهرست لابن النديم، وهو الذي يذكر المؤلفين والكتب التي ألفوها حتى القرن الرابع الهجري نجد أنه يذكر لنا أنواعاً مختلفة من الدراسات القرآنية، وعدداً كبيراً من الكتب التي ألفت فيها.

فمن الأنواع التي ذكرها: كتب التفسير، والكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه، والكتب المؤلفة في غريب القرآن، والكتب المؤلفة في لغات القرآن والكتب المؤلفة في القراءات، والكتب المؤلفة في النقط والشكل للقرآن، والكتب المؤلفة في لامات القرآن، والكتب المؤلفة في الوقف والابتداء ضمن القرآن والكتب المؤلفة في اختلاف المصاحف، والكتب المؤلفة في وقف التمام . (فهرست، 1997، ص 55) .

ثم إن كلمة (علوم القرآن) أصبحت تطلق على طائفة معينة من الأبحاث الهامة المتعلقة بالقرآن تعلقاً مباشراً وقريباً، كتفسيره، وناسخه ومنسوخه، ومكيه ومدنيه ومحكمه ومتشابهة، وقراءاته، لأن كلّا من هذه الأبحاث، قد دار حوله كلام كثير، واستلزم فهمه معرفة دقيقة لضبطه وتحديده، وألّفت فيه كتب مستقلة، فتحولت المعرفة بذلك إلى علم، كما يقول ابن خلدون . (مقدمة ابن خلدون، ص 214) .

فالتفسير فن مستقل برأسه، يقوم على أسس ومقوّمات وشروط، والناسخ والمنسوخ في القرآن أيضا فن خاص يقوم على دراسة معينة وأهمية خاصة، والمحكم والمتشابه وإلى آخرة . (من روائع القرآن، 1994، ص 67) .

إن بعض المفسرين في القديم والحديث صدّروا كتبهم بمقدمات قيّمة، لتكون مفتاحاً لهذه التفاسير، ولا تزال إلى اليوم مرجعاً للكاتبين في هذا الفن، وذلك كما فعل «ابن جرير الطبري» و «القرطبي» و «هاشم البحراني» و« والحويزي» في تفاسيرهم.

وبين السيد الصدر أن من أراد أن يفسر القرآن يتحتم عليه أن يطلع على معرفة: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات وأوجهها، والقراءات الشاذة التفسيرية، والتجويد، والحساب الرياضي للقرآن، ووجوه الإعجاز، والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم، والأحاديث المخصصة للعام، وهذه العلوم لا تؤخذ إلا بالنقل الصحيح ولا تنفك عن التفسير بالمأثور بل هي نابعة منه، قال: وفي اعتقادي أن هذه العلوم تصلح كمقدمات لفهم التفسير لا أكثر . (منة المنان، 2008، 1 : 30) .

فتحصل مما تقدم: إن السيد الصدر جعل مباحث علوم القرآن مقدمات للتفسير، والتفسير هو أصل علوم القرآن كلها ومنها انبثقت سائر العلوم والمعارف الدينية وغيرها.

المطلب الأول: منهجه في عرض القراءات القرآنية

القراءات علم جليل قد خص بالتدوين والتأليف، وقد أشبع فيه أصحابه وأسهبوا بما ليس عليه مزيد. فمن المعلوم أن الفقهاء والأصوليين والمفسرون ومَن يتصدون لهذه المسائل التشريعية أو الفقهية، هؤلاء تُعد القراءات عندهم من المصادر المعتمدة التي تبين لهم مرادهم، ويحتجون به في خلافاتهم، وتظهر وجه الإعجاز في هذه القراءات، فالقراءة حجة المفسرين في الاستنباط، ومحجتهم في الابتداء، وكل قراءة في حد ذاتها خبر شرعي دون إغفال لغيرها من القراءات وما تقتضيه من حكم موافق لها أو مخالف . (الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ص 220) .

من يتصفح كتاب منة المنان يلاحظ أن المؤلف برّز علم القراءات، وبين علو مكانة السيد الشهيد في هذا العلم، فأن تفسيره قد حوى كمًّا هائلًا من القراءات حتى غدا مصدرًا مهمًا من مصادر القراءات لمن جاء بعده من الباحثين.

ذكر المصنف القراءات في المقدمة كتابه وبين فيها سبب ذكر كثير من القراءات في أثناء التفسير، قال (رحمه الله): إن تعدد القراءات قد تشكل نقطة قوة في بحثنا هذا؛ من حيث إن جملة منها تستلزم تغير المعنى، الأمر الذي ينتج اختلاف السياق القرآني، أو حل مشكلة فعلية ناتجة عن قراءة أخرى أو عن القراءة المشهورة، وهكذا . (منة المنان، 2008، 1 : 13).

لم يقتصر السيد في هذا التفسير على التعرض لاختلاف القراءات السبع التي قد امتازت على بقية القراءات بالشهرة بين المسلمين في أقطار الإسلام المشهورة، بل تعدى إلى أكثر من ذلك إذا قال: إن القراءات أكثر من ذلك بكثير. (منة المنان، 2008، 2 : 13).

فإن القراءات المشهورة اليوم السبعة عشر والثلاثة عشر، بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الإعصار، قلّ من كثر ونزر من بحر، فإن

من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين . (ما وراء الفقه، 2007، 1 : 286).

فإن هذه مسألة اختلف العلماء فيها وتنوعت الآراء ولم يقتصر البعض على عدد معين منها قالوا: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد السّعة والتيسير، وإنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو في لغات العرب، من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك، والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبع مائة ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر. (الموسوعة القرآنية، 1985، 1 : 365).

وأبنى السيد الشهيد أول التفسير على قراءة حفص عن عاصم وهي القراءة المشهورة للقرآن الكريم في المصحف، قال: ومن الواضح عند المسلمين أنها ليست القراءة الوحيدة، أو التي يمكننا أن نعدها هي الوحي المنزل نفسه، ثم يذكر خلاف بقية القراءات . (منة المنان، 2008، 1 : 14) .

وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد غير ما قدمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة. فمنها: ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار وجمال الإيجاز، لأنّ كلّ قراءة بمنزلة الآية . (تفسير القاسمي، 1998، 1 : 195) .

إن القراءات المفسرة منهج في التفسير يعتمد على القراءة التي تهدف إلى البيان والكشف عن معاني وأسرار التنزيل وهذا ما أكد عليه السيد الشهيد إذ قال: من حيث إن جملة منها تستلزم تغير المعنى، الأمر الذي ينتج اختلاف السياق القرآني (منة المنان. 2008، 1 : 13)، إن استقرأ القراءات وطالع وجوهها واختلافاتها، سيجد بوضوح أن الأعم والأغلب من القراء كانوا يقرأون القرآن بآرائهم، حسب ما يخطر لهم من التطبيقات اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية ونحوها. (منة المنان. 2008، 1 : 14) .

استطاع السيد الشهيد أن يضع معايير دقيقة للقراءة المعتمدة والموثقة، وأن يقف عن طريق هذه المعايير في وجه القراءات الكثيرة التي لا يسلم بعضها من شذوذ أو ضعف، وهذا لا يعني أن القراءات الأخرى ليست صحيحة، فهناك قراءات موثوقة، وموافقة لمعايير التوثيق والضبط التي وضعها العلماء، قال: أجاز مشهور علماءنا القراءة على طبق القراءات السبع بل العشر، بل كل قراءة مشهورة في زمن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) . (منة المنان. 2008، 1 : 13) .

وهذا ما أكد عليه الشيخ الطبرسيّ في مجمعه قال: (الظاهر من مذهب الإمامية أنّهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرّاء بينهم من القراءات، إلاّ أنّهم اختاروا القراءة بما جاز بين القرّاء وكرهوا تجريد قراءة مفردة). (مجمع البيان، 1995، 5 : 394) .

وأما بالنظر إلى ما ثبت قطعياً من تقرير المعصومين (عليهم السلام) شيعتهم على القراءة، بأية واحدة من القراءات المعروفة في زمانهم، فلا شك في كفاية كل واحدة منها، فقد كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم، ولم يرد عنهم أنهم ردعوا عن بعضها، ولو ثبت الردع لوصل إلينا بالتواتر، ولا أقل من نقله بالآحاد، بل ورد عنهم (عليهم السلام) إمضاء هذه القراءات بقولهم كما دلّ عليه حديث سفيان بن السمط[1] قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن تنزيل القرآن قال: ((**اقرأوا كما علّمتم**)). (وسائل الشيعة، 1994، 6 : 163 / 7632)، وعلى ذلك فلا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر. (البيان في تفسير القرآن، 1975، ص 167) .

قال السيد الشهيد: إن هناك وجود الدليل المعتبر على إمضائها من قبل المعصومين (عليهم السلام)، باعتبار حجية الدليل القائم على وجودها في عصرهم (سلام الله عليهم) . (منة المنان، 2008، 1 : 23) .

ويتضح مما تقدم: إن الرأي الذي ذهب إليه السيد الشهيد في القراءات المتواترة هي قرآن، وأن القراءات الشاذة أو لم تمضي من قبل المعصوم هي ليست بقرآن، لأن كثيراً منها أشبه بالتفسير.

المطلب الثاني: موقفه من أسباب النزول

إن أسباب النزول في غالبها حكايات وقصص، منها ما هو مختصر ومنها ما هو طويل مبسوط، وهذه القصص تصور العصر الإسلامي الأول، وتصور واقع الذين كانت تتنزل عليهم الآيات القرآنية لتعليمهم، وتوجيههم، وتربيتهم، وتصور بيئتهم العامة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم، ومن الأمور التي تقدم نفعاً جليلاً في فهم المعنى، إذ هي تبصرة بالمناخ الذي نزل فيه النص، وكثيرًا ما يقع المفسِّر في الخطأ؛ لأنه فهم النص وهو يضع في اعتباره واقع المجتمع الذي يعيش فيه، لا واقع البيئة والمجتمع الذي نزل النص لمعالجته بالتعليم والتوجيه والتربية . (المحرر في أسباب نزول القرآن، 2006، 1 : 20).

إن السيد الشهيد لم يعتني بأسباب نزول القرآن، ومن نزلت فيهم الآية، ولذ كان الرأي السائد في منة المنان ضعف الأحاديث والآثار في اسباب نزول القرآن، وفي تفسير القرآن.

قال السيد الشهيد: أنني أعتقد أنا لو أردنا النظر إلى ترتيب النزول بدقة، لم نحصل على طائل؛ لأن أخباره كلها ضعيفة، وليس فيها من المعتبر إلا النادر جداً، إذن فترتيب القرآن الكريم بطريقة

النزول، مما لا يمكن إيجاده الآن بحجة شرعية تامة، إلا أن هذا مما لا ينبغي أن يهمنا كثيراً، مع اشتهار المصحف المتعارف، وإقراره جيلاً بعد جيل من قبل علماء المسلمين، وانتهاء بالجيل المعاصر للأئمة المعصومين (عليهم السلام) . (منة المنان، 2008، 1 : 19) .

وهذا الرأي الذي سلكة السيد الشهيد له عدة آثار في كتب المتقدمين والمتأخرين، وأليك ما قاله ابن عاشور : (أولع كثير من المفسرين بتطلب أسباب نزول آي القرآن، وهي حوادث يروى أن آيات من القرآن نزلت لأجلها لبيان حكمها أو لحكايتها أو إنكارها أو نحو ذلك، وأغربوا في ذلك وأكثروا حتى كاد بعضهم أن يوهم الناس أن كل آية من القرآن نزلت على سبب، وحتى رفعوا الثقة بما ذكروا، بيّد أنا نجد في بعض آي القرآن إشارة إلى الأسباب التي دعت إلى نزولها ونجد لبعض الآي أسبابا ثبتت بالنقل دون احتمال أن يكون ذلك رأي الناقل، فكان أمر أسباب نزول القرآن دائراً بين القصد والإسراف، فذلك الذي دعاني إلى خوض هذا الغرض في مقدمات التفسير لظهور شدة الحاجة إلى تمحيصه في أثناء التفسير) . (التحرير والتنوير، 1984، 1 : 46) .

وقد قال الواحدي في أول كتابه في أسباب النزول : (أما اليوم فكل أحد يخترع للآية سبباً، ويختلق إفكاً وكذباً، ملقياً زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد) . (الواحدي، 1992، 1 : 47) .

ومن خلال ما تقدم: إن العلماء قديماً وحديثاً فيهم من أسهب في أسباب النزول وحمّل بعض النصوص ما لا تحتمل من خلال استقراء النص، والبعض الآخر اقتصر على استقراء بعض الموارد.

ولذا نرى السيد الشهيد يؤكد مرة أخرى على مسألة أسباب النزول قال: ومما ينبغي الإلماع إليه أنني بطبعي لا أميل إلى الأخذ بروايات موارد النزول وأسبابه؛ فإنها جميعاً ضعيفة السند وغير مؤكدة الصحة، بالرغم من اهتمام بعض المؤلفين بها، كالسيوطي والزرقاني وغيره . (منة المنان، 2008، 1 : 21) .

قال الزرقاني في مناهل العرفان: معرفة أسباب النزول تعين على فهم الآية، وتوضح ما خفى منها. وقد زعم بعض الناس أنه لا فائدة للإلمام بأسباب النزول، فإنها لا تعدو أن تكون تاريخاً أو جارية مجرى التاريخ . (مناهل العرفان، 1996، 1 : 109) .

وقد خالف الشيخ محمد عبدة الزرقاني ولم يأخذ بأسباب النزول، ولم يعول عليها كثيراً، بسبب اشتمالها على الصحيح والعليل، واختراع بعض الناس أسباباً لنزول الآيات . (تفسير مقاتل بن سليمان، 2003، 5 : 149) .

وإلى هذا أشار الواحدي بقوله : ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها . (الإتقان في علوم القرآن، 1974، 1 : 114)، وقد أشار إلى ذلك محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة [2] عن آية من القرآن فقال: ((**اتّق الله وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن**)) . (شعب الإيمان، 2003، 2 : 424 / 2282) .

إن الروايات كثيرة في أسباب النزول ومناسباتها وقد حشرت في كثير من كتب التفسير التي كتبت في مختلف الأدوار لا تثبت على النقد والتمحيص طويلاً، سواء بسبب ما فيها من تعدد وتناقض ومغايرة أو من عدم الاتساق مع روح الآيات التي وردت فيها وسياقها بل ونصوصها أحيانا، ومع آيات أخرى متصلة بموضوعها أو موضحة لها أو عاطفة عليها، حتى أن الناقد البصير ليرى في كثير من هذه الروايات أثر ما كان من القرون الإسلامية الثلاثة الأولى من خلافات سياسية ومذهبية وعنصرية وفقهية وكلامية قوية البروز، وحتى ليقع في نفسه أن كثيراً منها منحول أو مدسوس أو محرف عن سوء نية وقصد تشويش وتشويه ودعاية ونكاية وحجاج وتشهير، أو قصد تأييد رأي على رأي . (التفسير الحديث، 1964، 1 : 206) .

والذي يطالع كتب منة المنان يرى أن السيد الشهيد لا يعتد بأسباب النزول إلاّ ما أقام عليه دليل قال: ومرادي أن أسباب النزول ونحوها لن تصلح في كتابنا هذا إلا كأطروحة من عدة أطروحات، يمكن أن تشكل جواباً على السؤال الرئيسي في أي مورد، وأما أن تكون هي الجواب الرئيسي أو أن تكون سبباً لاختلاف ظهور القرآن فلا، ما لم تقم عليها بنفسها حجة شرعية كافية . (منة المنان، 2008، 1 : 22) .

المهم في نظر السيد الشهيد أن كل آية من آيات الله تُعد قاعدة عامة ومناهج للحياة قال: وإنّما المهم في نظري كما ينبغي أن يكون هو المهم في نظر الجميع، إن كل آية من آيات الكتاب الكريم تُعد قاعدة عامة ومنهج حياة وأسلوب قابل للانطباق على جميع المستويات وعلى جميع المجتمعات، بل على جميع الأجيال، بل كل الخلق أجمعين، فظهور القرآن حجة (منة المنان، 2008، 1 : 21)، غير أننا نستطيع بهذا الصدد الاستدلال بالأخبار الدالة على أنَّ القرآن يجري في الناس مجرى الشمس والقمر، وإنه لو نزل بقوم ومات أولئك القوم لمات القرآن، ولكنه حي لا يموت؛ لأنه نازل من الحي الذي لا يموت . (بحار الأنوار، 1983، 35 : 404 / 21) .

ومن خلال ما تقدم: لم يكن السيد الشهيد في تفسيره مهتمًا بأسباب النزول بحسب ما اثبتناه، فقد كان لا يذكر سبب نزول الآية أو مناسبة نزولها، اللهم إلا إذا أراد تأييد إلى ما يذهب إليه من رأي كأطروحة من عدة أطروحة، وهذا المسلك ذهب إليه عدة من علماء المسلمين.

المبحث الثـالـــث: تفســيــر القـــرآن بالرأي

المطلب الأول: موقفه من التفسير بالرأي

لا يخفى على كل من أطلع على كتاب منة المنان وكان له باع في هذا الفن أثنى عليه ضمنا، ومن هؤلاء الأعلام السيد كمال الحيدري والشيخ حيدر حب الله وآخرون.

ثم استعرض السيد محمد الصدر في مقدمة كتابه عن بعض الأمور المهمة وتكلم في الأحكام الشرعية التي تؤخذ من الآية عند تكلم عن أسباب النزول، وما إلى ذلك عند المناسبة، فأنت ترى أن هذا الكتاب تطرق إلى بعض مباحث علوم القرآن ولكن لا على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد، بل على طريقة النشر والتوزيع تبعاً لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن وتوزعها.

وكان منهج السيد الشهيد في منة المنان الاجتناب التفسير بالرأي المذموم في معناه الذي بيّنه، وحذّر منه وصوّر فظاعة ما ارتكبوه تصويراً بليغاً وكرّر التحذير من عواقبه، قال السيد الشهيد: إننا بهذه الطريقة لا نكون ممن فسر القرآن برأيه لكي نهلك (منه المنان، 2008، 1 : 12) . وفي قباله قد اعتمد في تفسيره على الرأي المستند إلى الحجة اللغوية والبرهان العقلي والشاهد الروائي.

قال الذهبي: والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي: عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر. (التفسير والمفسرون، 1 : 267) .

وهذا ما ذهب إليه جلّ العلماء ومنهم السيد الشهيد الصدر قال: ومن هنا نجد في هذا الكتاب حديثاً من كل نوع من الفقه والأصول وعلم الكلام والنحو والصرف وعلوم البلاغة وشيء من التفسير، مضافاً إلى بعض العلوم الطبيعية، كالفيزياء والفلك والتاريخ وغيرها.(منة المنان، 2008، 1 : 18) .

حدد العلماء ومنهم السيد الشهيد شروطاً للتفسير الصحيح منها ما كان موافقاً لكلام العرب، ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب والسّنة وعلم اللغة وعلوم البلاغة وعلم النحو والصرف والاشتقاق وعلم أصول الدين، وأصول الفقه وعلم القراءات وعلم القصص والأحاديث المبينة للتفسير ومثل الناسخ والمنسوخ أو ما فيه بيان لتفسير المجمل أو المبهم وإذ اجتمعت هذه الشروط أعدها السيد الشهيد تفسيراً معتبراً . (منة المنان، 2008، 1 : 29) .

ومن خلال هذا الفهم للتفسير والخلفية الذهنية التي يجب أن يتمتع بها المفسر، يمكن أن نميز بين التفسير الصحيح الذي يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية والذي يمكن أن نطلق عليه اسم " **عملية التدبر** " وبين التفسير الباطل الذي يطلق عليه اسم " **التفسير بالرأي** " وهذا الموضوع من القضايا ذات البعد التاريخي الذي يرجع إلى عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقد ورد عنه النهي عن التفسير بالرأي، فعنه (صلى الله عليه وآله): ((**من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**)). (وسائل الشيعة، 1994، 27 : 205 / 33610) .

ولعل الآية الكريمة : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (سورة آل عمران: الآية : 7) .

تشير إلى أحد مصاديق هذا النوع من التفسير أيضا، إضافة إلى عدد كبير من الأحاديث الواردة عن المعصوم (عليه السلام) والمروية من طرق الفريقين. (علوم القرآن، الحكيم، 1997، ص 42) .

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال: ((**ما ضرب القرآن رجل بعضه ببعض إلا كفر**)) . (الكافي، 1944، 2 : 632 / 19) وهو أن يُستعمل الرأي في المجمل والمؤول والمطلق والعامّ والمجاز والمتشابه وغيرها من المعضلات ويجمع بينها باعتبارات خيالية واختراعات وهمية ويستنبط منها أحكاماً يعمل بها ويفتي بها من غير أن يكون له مستند صحيح ونقل صريح عن أهل الذكر (عليهم السلام) . (شرح أصول الكافي، 2000، 11 : 83)، وقد نقل عن الصدوق أنه قال في كتاب وسائل الشيعة سألت محمد بن الحسن[3] عن معنى هذا الحديث فقال: ((**هو أن يجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية أخرى**)) . (وسائل الشيعة، 1994، 18 : 135 / 22) . هذه الأمور وغيرها نبه عنها كثير من العلماء إلى أخذ الحيطة والحذر عند المطالعة في تفسيره أو النقل منه .

ومن الأمثلة التي ساقها السيد الشهيد في قوله تعالى: **{ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ }** . (سورة يس : الآية : 26) في أنَّ هذا المؤمن هل دخل الجنة حياً أم ميتاً . ؟ من حيث !، إنَّ الآية لم تنص على موته، إذن فهو لابد من أن يكون حياً، ومن حيث إن دخول الجنة لا يكون إلا بالموت فهو لابد أن يكون قد مات ودخل الجنة .

قال: ومحل الشاهد أن كل ذلك وغير ذلك إنما هي استفادات بعد أخذ المدلولات القرآنية بنظر الاعتبار، فتكون آراء خاصة بالمؤلفين وقابلة للمناقشة وقابلة للمناقشات آراء أخرى بإزائها، فما

هو المعتمد في الحقيقة في فهم القرآن الكريم هو القسم الأول من الآراء والاتجاهات ويكون حجة في إثباته - **عادةً وغالباً** - دون القسم الثاني لا محالة . (منة المنان، 2008، 1 : 32) .

فقد تبين من خلال ما تقدم: جواز التفسير بالرأي وفق والاجتهاد الذي توفرت لصاحبه أسبابه، وهي العلم بالعلوم التي ذكرناها آنفا في صدر المطلب .

المطلب الثاني: علم المُشْكِل

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في القرآن إلى قسمين: واضح جلي؛ ومشكل خفي، فالواضح ما اتضح لفظه ومعناه فيجب الإيمان به، وإثبات معناه حقًّا بلا رد ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول والتسليم وأما المشكل فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته أو قصر في فهم قارئه، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به، والتوقف في معناه وترك التعرض له؛ لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه فنرد علمه إلى الله ورسوله . (البراهين المعتبرة،2010، ص 547) .

لذا اهتم المفسرون بعلم المشكل، فجعلوا معرفتها من الضروريات لمن يريد فهم القرآن والوقوف على أسراره، وأكد الأئمة (عليهم السلام) على هذا الاهتمام، فجعله الإمام عليّ (عليه السلام) من الأمور التي لو لم يعرفها المتصدي لمعرفة القرآن لم يكن عالماً بالقرآن، روي أن رجلا أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين إني قد شككت في كتاب الله المنزل، قال له (عليه السلام): ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل ؟ ! قال: لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه فقال علي بن أبي طالب (عليه السلام): إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عزّ وجلّ . (التوحيد، الصدوق، ص 255).

سلك السيد الشهيد مسلك أهل البيت (عليهم السلام) في فهم النص حيث يقول: إن كلام الله سبحانه وهو أصدق القائلين وأعدل الفاعلين وأحكم الحاكمين كيف يمكن أن يناله السؤال والإشكال أو الوهم والاعتراض ؟ حاشا الله، وسبحانه وتعالى عما يشركون، كل ما في الأمر أن ذلك مما قد يحصل نتيجة جهل الفرد أو قصوره أو تقصيره أو نفسه الأمارة بالسوء. (منة المنان، 2008، 1 : 7).

ومن أشهر الذين اعتنوا بحل بعض مشكلات القرآن في مؤلفاتهم التفسيرية: القاضي ابن عطية، في كتابه «المحرر الوجيز»، وأبو عبد الله القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرآن»، والخازن في كتابه «لباب التأويل في معاني التنزيل»، والألوسي في كتابه «روح المعاني» وايضاً من الشيعة الإمامية السيد الشهيد محمد الصدر في كتابه «منة المنان في الدفاع عن القرآن».

قال السيد الشهيد: لا ينبغي أن يلحق هذا الكتاب بكتب التفسير العامة؛ فإنه ليس كذلك إطلاقاً، وقد تجنّبت فيه عن عمد كل ما يرتبط بالتفسير المحض - لو صح التعبير - إلا ما نحتاج إليه أحياناً على سبيل الصدفة، وعلى القارئ الكريم أن يرجع في التفسير إلى مصادره وما أكثرها؛ إذ لعل تفاسير القرآن في كل فرق الإسلام تزيد على المئة بمقدار معتد به، ولا حاجة إلى تكرار ما قالوه منها. وإنما يُلحق هذا الكتاب بحقل الكتب التي اختصت بمشاكل القرآن . (منة المنان، 2008، 1 : 17 – 18) .

ويتضح أن الغاية من الأطاريح عند (السيد الصدر)، هو ترك باب الجواب والتفلسف والتفكير مفتوحاً لزيادة في التفلسف والتفكير، وهذا كله يعطي ديمومة للسؤال وحياة وفاعلية لسؤال آخر، لذا أكد (السيد الصدر) أن كتابه (منة المنان) لا ينتمي إلى كتب التفسير، فهو يعد من الكتب التي تتحدث عن (مشاكل القرآن)، وسبب ذلك أن التفسير يعنى بالمستوى الظاهر للنص ولا يتجاوز حدود اللغة أو معاني الكلمات، ولا يهتم بالمستوى الاحتمالي، الذي يوازي المستوى التأويلي فمن المعروف أن التأويل يختلف عن التفسير في الوصول إلى أعماق المعاني في النص لذلك فأن كتاب (**منة المنان في الدفاع عن القرآن**) لا يعنى بمعاني الكلمات، وأن كان يأخذها باعتبار بل هو يعنى بما تشكله هذه الكلمات والمشكلات المنبثقة من سياق تقوم هي بتشكيله وهناك بون شاسع بين رؤية تكتفي بمعان ترد إلى الذهن ورؤية أخرى تبحث في ما وراء معاني الكلمات و ما تشكله مجتمعه في سياق عام يولد أفكار وصور وتأويلات ومشاكل تثار من خلال هذا كله . (المشكل القرآني في منة المنان، 2019، موقع الحوار المتمدن) .

إن معرفة المشكل للمفسر أمر مهم جداً، لأن بعض قصّار النظر والجهلة والمغرضين من أعداء القرآن، بمجرد ما يعرض لهم شيء من المشكل يظنون في القرآن تعارضاً وتضارباً، وربما يتتبعونه، وقد تنبه لخطورة هذا الأمر العلماء قديماً وحديثاً حتى أصبح تأويل المشكل علماً كاملاً، والذي يتأمل في كلام السيد الشهيد يعرف أهمية معرفة المشكل بالنسبة للمفسر وطالب التفسير والداعية وعموم المسلمين.

قال: ومن هنا زادت الأسئلة المدفونة في النفوس، والشبهات المعقودة في الرؤوس، حتى أصبحت مدخلاً للضلال والدعاة الكفر والإلحاد، لأجل رد الناس عن دينهم وسحب يقينهم، ومن هنا احتاج الأمر إلى قلب قوي والى عقل سوي، من أجل التصدي إلى ذكر كل تلك الأسئلة وعرض كل تلك الشبهات، بما يحتمل أن يثور في الذهن ضد أي آية من آيات القرآن الكريم، والتصدي لجوابها بجدارة وعمق، لكي يتم إغناء المكتبة الإسلامية العربية بهذا الفكر

الذي لم يسبق إليه مثيل . (منة المنان، 2008، 1 : 8 – 9).

إلا أنه قد نَظّر في قراءة النص بشكل تفصيلي وخاصة في (**منة المنان في الدفاع عن القرآن**) فقد اعتمد (السيد الصدر) السؤال بوصفه إشكالا فلسفياً، للوصول إلى غايات النص القرآني ومقاصده وكذلك لاعتماده (أسلوب الأطاريح) المعتمد على إثارة الأسئلة فقد ربط (السيد الصدر) السؤال المعبئ بإشكال فلسفي للوصول إلى غايات النص القرآني ومقاصده أو توضيح المعنى بمرآة الدلالة.

يبدو أن غاية (السيد الصدر) من إثارة السؤال ليس للحصول على جواب محدد بل هو فتح باب التفكر والتأمّل للحصول على إجابات كثيرة تطل على المعاني التي تتوزع على (الأطاريح) التي أقترحها سماحته إذن الغاية هي، "ليس تحصيل جواب سريع، جواب قطعي وناجز، وإنما خلق جو مشحون بإمكانية المعرفة وفضاء ثقافي حواري، يتولد من خلاله سؤال جديد، وبذلك تتوالد المعرفة ويتناسل الفكر . (المشكل القرآني في منة المنان، 2019، موقع الحوار المتمدن)

يتبين من خلال ما تقدم: إن السؤال في بعض الأحيان عن الاستعلام والاستفهام عن الأمور المجهولة، وفي بعض الاحيان يرد من قبل المشككين والزنادقة، ومن هذا يتبين لنا أهمية معرفة المشكل والرد على من يتصيد هذه المواضع في القرآن ليحرجوا الدعاة المساكين ممن لا يعرفون كيف يزال إشكال المشكل.

الاستنتاجات

النتائج

1- قدرة السيد الشهيد (قدس سرّه) على استنباط الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية في إطار الضوابط العامة - المصوغة في علوم القرآن - لفهم الكتاب والسنة.
2- رد السيّد الشهيد (قدس سرّه) الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم وإبطال دعاوي التشكيك في تنزيله وتشريعه.
3- إنّ السيّد الشهيد (قدس سرّه) إضافة لكونه مرجعاً وزعيماً دينيّا متميّزا فإنّه يعدّ أحد رجالات الفكر المعاصرين الذين نظَّروا للعالم البشري في مجالات مختلفة، وهذا ما يجده المتتبّع في كتبه القيّمة.
4- جمع بين الفكر الحديث والقديم في التفسير، فانعكس ذلك على فهمه للآيات الشريفة في بيانه وشرحه لمضامينها، جامعاً بين أصالة الأمس وحداثة اليوم وتطلّعات المستقبل، وقد وفّق في ذلك إلى حدّ كبير، وهذا أحد دواعي خلود هذا التفسير وعظمته.
5- اعتمد السيّد الشهيد (قدس سرّه) بشكل أساسي في تفسيره على منهجيّة أهل البيت (عليهم السّلام)، وعلى الأخبار والآثار المرويّة عنهم، فنأى بعيداً عن شبهة التفسير بالرأي، ونزّه كلام الله عن آراء المذمومة .
6- وضوح في الرؤية ونضوج في الأفكار، وردّ للشبهات التي أثيرت أو قد تثار بما يملأ الخافقين علماً ويقينا هنا وهناك.
7- أنّ أسلوب الكتاب وطريقة بحثه تمتاز بأنّها بعيدة عن العبارات المنمّقة والاصطلاحات المعقّدة، حيث إنّه بيّن المعاني بأسهل الألفاظ والكلمات، كما أنّه امتاز بالاختصار وشموليّة .
8- التعرّض في تفسير الآيات الكريمة إلى الدقائق العلميّة والأحكام المتعلّقة بها وبيان مفرداتها بشكل دقيق ومفصّل، كما أنّه اعتمد على جانب التدبّر في الآيات واستنباط النتائج وقراءة ما وراء الألفاظ، وهذه سمة هامّة قلّما أتّسم بها تفسير.
9- إن فائدة قراءة المقدمة هي تأمين قراءة جيدة للنص، وعدم تكون صورة عشوائية لدى القارئ.

الهوامش

---

(1) سفيان بن السمط البجليّ الكوفيّ عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق (عليه السلام)، ونقل في جامع الرواة رواية ابن أبي عمير عنه، قال المحقّق المامقانيّ: وهذا يدرجه في الحسان بعد استكشاف كونه إماميّا من عدم تعرّض الشيخ لمذهبه، ينظر: رجال الطوسيّ : 213 / 2926، جامع الرواة 1 : 366، تنقيح المقال 2 : 38 .

(2) عبيدة بن عمرو السلماني المرادي، ويقال: الهمداني الكوفي، يكنى أبا مسلم، ويقال أبا عمرو، أسلم قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بسنتين وصلى ولم يهاجر إليه. وسلمان حي من مراد مات سنة ثلاث وسبعين هجرية، ينظر تنقيح المقال 2 : 242 / 7701.

(3) محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمي، يكنى أبا جعفر أستاذ الصدوق بل شيخ كل الشيعة في عصره كان بقم وإليه الرحلة قال الشيخ في رجاله ص 495 : جليل القدر بصير بالفقه ثقة، ووصفه في الفهرست: جليل القدر عارف بالرجال موثوق به، وقال النجاشي في رجاله ص 271 : شيخ القميين وفقيههم ومتقدمهم ووجههم ويقال: إنه نزيل قم وما كان أصله منها ثقة ثقة عين مسكون إليه سمع من الصفار وجماعة من الثقات وروى عنه أبو الحسين علي بن أحمد بن طاهر وغيره من الأكابر صنف كتبا منها تفسير القرآن وكتاب الجامع في الفقه توفي سنة 343 .

المصادر

- **القرآن الكريم**
- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992م.
- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، المحقق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- البراهين المعتبرة ، المؤلف: عبد العزيز بن محمد المديهش (المتوفى: 1350 هـ)، المحقق: إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن المديهش، الناشر: المحقق، الطبعة: الأولى، 1434هـ.
- التحرير الأدبي، المؤلف: د. حسين علي محمد حسين (المتوفى: 1431هـ)، الناشر: مكتبة العبيكان. د ت .
- التحرير والتنوير ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
- تفسير مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي (المتوفى : 548ه)، تحقيق : تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1415 - 1995 م ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان .
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
- الخطاب المقدماتي، عبدالواحد بن ياسر، مجلة علامات تعريف لوجون .
- الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)، المؤلف: محمد بن أحمد ميارة المالكي، المحقق: عبد الله المنشاوي، الناشر: دار الحديث القاهرة، سنة النشر: 1429هـ - 2008م.
- دراسات في علوم القرآن، المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: 1426هـ)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية 1419هـ-1999م.
- رد المحتار على الدر المختار، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م.
- شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني، (المتوفى : 1081ه)، تحقيق : مع تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعراني الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : 1421ه - 2000 م ، المطبعة : دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الناشر : دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان .
- شرح الكوكب المنير، المؤلف : تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (المتوفى : 972هـ)، المحقق : محمد الزحيلي و نزيه حماد، الناشر : مكتبة العبيكان، الطبعة : الطبعة الثانية 1418هـ - 1997م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: 821هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987م.
- العتبات النحوية المقدمات انموذجاً توفيق العلوي، مجلة مقابسات، المعهد العالمي للعلوم الانسانية، جامعة تونس 2014م.
- العجاب في بيان الأسباب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي.
- الفهرست، المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: 438هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية 1417 هـ - 1997م.
- في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، المؤلف: محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، الناشر: دار النهضة العربية – بيروت.

- الكافي الشيخ الكليني (المتوفى : 329ه)، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، الطبعة : الخامسة ، سنة الطبع : 1363ه، المطبعة : حيدري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران .
- كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- ما وراء الفقه، السيد محمد الصدر(المتوفى : 1421ه)، الطبعة : الثالثة، سنة الطبع : 1427ه - 2007م، المطبعة : قلم، الناشر : المحبين للطباعة والنشر.
- المجموع شرح المهذب، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار الفكر.
- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 ه.
- محاضرات في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج الناصري التكريتي، الناشر: دار عمار – عمان، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
- المحرر في أسباب نزول القرآن المؤلف: خالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1427 هـ - 2006 م).
- مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، المؤلف: عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، الناشر: دار البيان العربى – القاهرة.
- المشكل القرآني في منة المنان، حيدر مكي الكناني موقع الحوار المتمدن ، تاريخ النشر 2019/4/28.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- مقدمات التفاسير بين الأهمية والتأصيل، محمود منطي خلف فيحان، بحث منشور في مجلة العلوم الاسلامية / مجلة الفضيلة محكمة العدد 32 المجلد الثالث.
- مقدمات التفاسير وموضوعاتها، تأليف عبدالله بن عبده العواضي، الطبعة الاولى 2020م ، الناشر غافق للدراسات.
- مقدمات كتب الفقه دراسة نظرية تطبيقية، منيرة عبدالله القحطاني، مجلة البحوث الاسلامية، العدد 45 ، تاريخ النشر 2019.
- مقدمة ابن خلدون، المؤلف : ابن خلدون، مصدر الكتاب : موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com
- مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، عباس أرحيلة، المطبعة الوطنية مراكش، طبعة الأولى، 2003.
- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، المؤلف: محمد سَعيد رَمضان البوطي، الناشر: موسسة الرسالة – بيروت، عام النشر: 1420 هـ - 1999 م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.
- منة المنان في الدفاع عن القران، المؤلف السيد محمد الصدر، المتوفى 1419ه، الطبعة الثانية، تاريخ الطبع 2008م، الناشر دار الاضواء.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.
- الموسوعة القرآنية، المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: 1405 هـ.
- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، (المتوفى : 1104ه)، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الطبعة : الثانية، سنة الطبع : 1414ه، المطبعة : مهر – قم، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم.